توضيح وكشف إبهام

في بيان معنى والسائل فلا تنهر من تفسير جزء عم لمؤلفه قال ايده الله

كنت أمس ضائق الصدر لمرض صديق أفقد بفقده معيناً على العلم يذكرني اذا نسيت ، ويلومني لوم المحب إن أخطأت وأصررت

جاءني وأنا على تلك الحال صادق في مودتي وذكر مايقول قائل في كلام جاء في تفسير سورة الضحى مما وضعته على جزء عم وهو : « والسائل هو المستفهم عما لا يعلم وليس هو طالب الصدقة فان هذا اللفظ لم يرد في كتاب الله عنوانا للفقير والمسكين بل جرت سنة الكتاب المبين على ذكرهما بوصفهما» يقول القائل كيف هذا وقد جاء (السائل) عنواناً للفقير أو المسكين في سورتي الذاريات والمعارج — في الاولى «وفي أموالهم حق للسائل والمحروم» وفي الثانية «والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» ذكر الصادق ذلك من قول القائل فكأني ذكرت به ما كنت ناسياً وبادرت الى نسخة الكتاب فأصلحت الخطأ وعولت على أن أعلن ذلك في الجرائد حتى لا يضل ضال ، ولا يتطاول جاهل ، وماذا علي في ذلك ولست أعلى كعباً في استحضار الكتاب ، من الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، حين هم بعقاب من يقول : إن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم قد مات : حتى ذكره الصديق رضي الله عنه بقوله تعالى «إنك ميت وإنهم ميتون» فقال كأني لم اسمعها من قبل او كما قال — وحين شدد في أمر المغالاة في المهور وهو على المنبر فقالت له امرأة كيف ذلك والله يقول «وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً» فتنبه رضي الله عنه للصواب وقال : رجل أخطأ وامرأة أصابت : ومن أنا من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العلم بكتاب الله والإحاطة بما فيه

لكني رجعت الي بعد ذلك نفسي فراجعت الأصول التي كانت بين يدي يوم كتبت ما كتبت فذكرت اني قصدت من العنوان ما يدل على المعنى بنفسه بدون قرينة تبينه منه وكنت حققت معنى السائل خصوصاً في آية الذاريات وهو المستجدي الذي يطلب من مال غيره ولا يلزم أن يكون فقيراً ومسكيناً وغاية أمره أن يظن فيه الفقر اذ أحسن الظن فيه ولم يعلم أنه طلب لحاجة عارضة . ولم يفهم منه معنى الفقر في الآيتين الا بقرينة المال واقترانه بالمحروم وقد أفادت القرينة مع ذلك أنه يعني شيئاً وراء هذا ما عطف عليه المحروم الذي [illegible] عنده . وكذلك قوله تعالى

سورة البقرة «وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين» فان قرينة اعطاء المال هي التي دلتنا على أن السائلين هنا هم طلابه والعطف على المساكين دليل على أن السائل لا يلزم ان يكون مسكيناً . وقد نفى النبي صلى الله عليه وسلم عنه المسكنة فيما روي من قوله «ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان واللقمة واللقمتان ولتمرة ولتمرتان» قالوا فما هو قال «الذي لا يجد ولا يتصدق عليه» وقد رووا عنه انه قال «للسائل حق وان جاء على فرس» وقالوا ان السائل هو الطالب وقد يسمى في عرف الناس الفقير بالسائل ولكنه في الكتاب العزيز ليس عنوانا للفقير والمسكين يفهمان منه بالنص كما تفهم المعاني الحقيقية من دوالها الوضعية او الغالبة فيها فاذا اطلق السؤال مفرداً عن القرائن المعينة لمعناه المراد منه لم يفهم منه الفقير على ماجرت به سنة الكتاب العزيز في التعبير فان سنته جارية باستعمال السؤال في معنى الطلب لا في معنى الفقر الذي هو من اللوازم البعيدة لضرب منه وهو طلب المال كما هي جارية بأنه اذا أراد الحث على معاونة الفقراء والمساكين جاء في التعبير عنهم بما يحقق اوصافهم ويعين المراد منهم وهذا يبعد ان يراد من كلمة السائل في هذه السورة الفقير لانها ليست عنواناً له كما ذكرنا ولا يفهم هذا المعنى منها الا بقرينة كما سبق

وأبعد من هذا أن يراد منها طالب المال مطلقاً فان السياق يأباه أشد الإباء لان لفظ السائل لابد أن يكون في الآية دالا على معنى يلاقي شيئاً مما ذكر في الآيات التي قبل «فأما اليتيم» الخ لأن هذا التفصيل مفرع على ماقبله فلو أريد منه طالب الصدقة لم يتوهم أن يكون ملاقياً الا لمعنى السائل وهو الفقير والسائل ليس عنوانا له وقد بينا ان الذي يقابل السائل فيها هو التحديث بالنعمة

واذا لم يصح ملاقيا شيء مما سبق الا بحمله على المستفهم طالب البيان الذي هو عنوان له يتبادر منه الى الذهن عند الاطلاق تعين حمله عليه ويكون على ذلك ملاقيا لمعنى «ووجدك ضالا فهدى» ويؤيد هذا المعنى ماورد في أحوال الذين كانوا يسألونه عليه الصلاة والسلام بيان ما يشتبه عليهم في أمر الكتاب المعارون ومنهم الأعراب الجفاة ومنهم من كان يسأل عما لا يسئل عنه الانبياء فلا غرو أن يأمره الله تعالى بالرفق بهم وينهاه عن نهرهم كما عاتبه على التولي عن الأعمى السائل في سورة عبس

وعبارة التفسير فيها اجمال جر الى تأليف حاشية كهذه فاستغفر الله مما صنعت فيها وأرجو أن لا أعود الى مثلها.

في ٢٢ شوال سنة ١٣٢٢ محمد رشيد